إشكالات تطبيق المنهج العلمي في علم الاجتماع وتأثيره على تطور طرق البحث في الظواهر الاجتماعية

Problems of applying the scientific method in sociology and its impact on the development of research methods in social phenomena

مليكة حنيش [1]

[1] جامعة الجيلالي بونعامة بخميس مليانة –الجزائر– m.henniche@univ-dbkm.dz

تاريخ الإرسال: 02-07-2024 تاريخ القبول: 10-10-2024تاريخ النشر: 30-12-2024

ملخص:

يتناول موضوع المقال أهم المشكلات التي تطرح على مستوى تطبيق المنهج العلمي على الظاهرة الاجتماعية ،وهذا يعود إلى جملة من الأسباب الموضوعية التي تتعلق بطبيعة الظاهرة الاجتماعية لما لها من مميزات وخصائص تميزها عن الظواهر الطبيعية ، فبسبب طابعها الإنساني يمكن أن تكون ذاتية الباحث جزء من الظاهرة المدروسة ،عكس المادة التي تكون منفصلة عن ذاتية الباحث وهذا يطرح إشكال حول مدى علمية النتائج المتوصل اليها من جهة ومن جهة أخرى يطرح إشكالية مدى مناسبة المنهج العلمي المطبق في علوم المادة لدراسة الظاهرة الاجتماعية .

الكلمات المفتاحية: المنهج العلمي ،الظواهر الاجتماعية ،الظواهر الطبيعية ،مشكلات البحث

Abstract :

The topic of the article deals with the problem of applying the scientific method in sociology due to the specificity of the social phenomenon from the natural phenomenon. This matter has greatly affected the development of research methods and their diversity in the field of sociology through the existence of several methodological schools.

Keywords: ، scientific method، social phenomenon، Natural phenomenon، Research problem،

المؤلف المرسل: مليكة حنيش ، **الإيميل:** m.henniche@univ-dbkm.dz

1– مقدمة:

يعتبر المنهج العلمي الطريق الذي يجب على كل باحث في مجالات البحث المختلفة اتباعية للوصول إلى الحقيقة التي يبحث عنها، وهو يعتبر ضرورة لا غنى عنها من اجل توفير الجهد والوقت. ولأن مجالات العلم واسعة ومتنوعة بتنوع الحقائق الكونية والخبرة الإنسانية الطويلة نجد أن الظواهر التي تخضع للدراسة و البحث العلمي تنقسم إلى قسمين، ظواهر تتعلق بالطبيعة والكون وكل ما يتعلق بالمادة، وظواهر تتعلق بالإنسان وما ينتجه من ظواهر إنسانية واجتماعية. هذا الاختلاف في طبيعة الظاهرة التي تخضع للدراسة طرح إشكالية على مستوى تطبيق المنهج العلمي على الظاهرة الإنسانية والاجتماعية خاصة بسبب خصوصيتها وتميزها عن الظاهرة الطبيعية.

- فيا ترى ما هي أهم المشكلات التي تطرح على مستوى تطبيق المنهج العلمي في دراسة الظواهر الاجتماعية ؟
- وكيف أثرت تلك المشكلات في تطور طرق البحث في الظواهر الاجتماعية ؟

2.تعريف المنهج العلمي:

" تشتق كلمة منهج(méthode)من الفعل نهج وهو يعني سلك وسار واتبع فمنهج اسم مكان لفعل نهج ويعني الطريق أو السبيل وقد عرفه المعجم الفلسفي للغة العربية بأنه الطريق الواضح في التعبير عن شيء أو في عمل شيء طبقا لمبادئ معينة وبنظام معين بغية الوصول إلى غاية معينة"(أبراش،2008،ص64).

وإذا بحثنا في جذور هذه الكلمة نجدها "ترجمة لكلمة méthode ونظائرها في اللغات الأوروبية الأخرى وكلها تعود في النهاية إلى الكلمة اليونانية methodos وهي كلمة نرى أفلاطون يستعملها بمعنى البحث أو النظر أو المعرفة ، كما نجدها كذلك عند أرسطو أحيانا كثيرة بمعنى بحث والمعنى

الاشتقاقي الأصلي لها يدل على الطريق أو المنهج المؤدي إلى الغرض المطلوب " (الجوهري ويوسف ،2008،ص3) ونظرا لارتباط المنهج بالمعرفة أو الحقيقة فان هذا المفهوم تطور بتطور أشكال المعرفة عبر الزمن ولكن ما يهمنا هو المنهج العلمي لذا نجد أن هذا المفهوم "لم يأخذ معناه الحالي أي انه طائفة من القواعد العامة المصوغة من اجل الوصول إلى الحقيقة في العلم إلا ابتداء من عصر النهضة الأوروبية ففي هذه الفترة نرى المناطقة يعنون بمسالة المنهج كجزء من أجزاء المنطق"(الجوهري ويوسف ،2008،ص33) وعليه فان المنهج كان يصنف ضمن أقسام المنطق الأربعة وهي التصور والحكم والبرهان والمنطق وهذا حسب تقسيم راموس (1515-1572م).

وفي القرن 16 عرف المنهج اهتماما كبيرا من قبل الفيلسوفان الانجليزي فرنسيس بيكون (1561-م1626) من خلال مؤلفه الأوريغانون الجديد والفرنسي ديكارت (1596-1650م)من خلال مؤلفه مقال عن المنهج "واللذان كرسا جزءا كبيرا من أعمالهما من اجل تثبيت دعائم المنهج ومن حينها شاع استخدام المنهج الاستدلالي في الرياضيات والتجريبي في الطبيعيات و ألشكي في الإنسانيات وبذلك أحرز المنهج مكانة عالية في ميدان العلوم والمعارف حتى قيل يعدل الإنسان عن الحقيقة إذا كان من دون منهج "(جواد الطاهر ،2011،ص9)أي انه لا يمكن الوصول إلى الحقيقة دون الاعتماد على المنهج العلمي الخاص بكل حقل معرفي .

3. أهمية المنهج العلمي :

للمنهج العلمي أهمية كبيرة في تطور المعرفة العلمية عند الإنسان، فالعلم لم يتطور إلا بتطور المنهج العلمي وفي هذا الصدد يقول عبد الرحمان بدوي أن انتكاس العلم يرجع سببه إلى النقص في تطبيق المناهج العلمية أو في تحديدها وعليه فان المنهج العلي يمكن الباحث الاعتماد على نفسه في اكتساب المعلومة، كما أنه يسمح للباحث الاطلاع على مختلف المناهج واختيار الأفضل منها ويجعل من الباحث شخصيةً مختلفة من حيث التفكير والسلوك، والانضباط، والحركة.

4. مشكلات تطبيق المنهج العلمي في العلوم الاجتماعية :

يرى جيروم كيفان أن هناك محددات رئيسية يمكن من خلالها تحديد أوجه الاختلاف بين العلوم تتمثل هذه المحددات أو التغيرات فيما يلي :

-"المسائل الرئيسية المطروحة على بساط البحث بما فيها درجة التنبؤ ومستوى التفسير ومدى دقة وصف الظواهر، التي تمثل النتائج الرئيسية للبحث العلمي.

- مصادر الأدلة التي تبنى عليها الاستنتاجات ودرجة التحكم في الشروط التي تجمع البراهين بواسطتها

- المفردات الاصطلاحية المستخدمة في التعبير عن المشاهدات والمفاهيم والنتائج بما يضمن التوازن في الخصائص المستديمة وبين فئات البحث ودرجة الاقتران المفترضة التي تسمح بالتعميم في كل الظروف والمواقف أو يقتصر التعميم على المشاهدة قيد البحث.

- مدى تأثر المسائل المطروحة على بساط البحث العلمي بالشروط الاجتماعية التي تولدها الأحداث التاريخية.

- مدى تدخل القيم الأخلاقية في المسائل المطروحة وفي الاستدلالات والاستقراءات التي يتم التوصل إليها "(كيفان ،2013،ص19)

- فمن حيث موضوع الدراسة :نجد أن الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية يتعامل مع وحدات تتميز بالاختلاف والتفرد في الخصائص والصفات على عكس العوم الطبيعية أين نجد أن وحدات الدراسة متجانسة ومتطابقة وقابلة للتكرار وبالتالي يمكن أن نعمم النتائج الدراسة لوحدة مفردة على بقية الوحدات بالمقابل نجد أن التعميم غير مكن في مجال العلوم الاجتماعية والإنسانية .

- من حيث الثبات والتغير: بما أن السلوك البشري متغير بدافع تغير الأفكار والقيم والدوافع والثقافة وهذا التغير يكون عبر الزمن والمكان فان الظواهر الاجتماعية و الإنسانية تتميز بالتغير على عكس الظواهر الطبيعية التي تتميز بالثبات فخصائص الفضة مثلا ثابتة في أي مكان وفي أي زمن بالمقابل نجد أن آراء الجزائريين حول معدل الإنجاب يختلف باختلاف الزمن واختلاف الآراء بين المدينة والريف ،وباختلاف المستوى الثقافي ...الخ.

– من حيث طريقة التعامل مع الموضوع :في العلوم الطبيعية نجد أن التعامل مع موضوع الدراسة وهو المادة ،يكون بطريقة مباشرة مادية ملموسة ومحسوسة ،أي أن الباحث يتعامل مع الظاهرة مباشرة ،أما الأمر فيختلف في العوم الاجتماعية والإنسانية فالتسامح مثلا هو ظاهرة تميز السلوك الإنساني لكن ليس لها وجود مادي محسوس ومباشر لذا يجب عند دراستها أن نستنتجها عبر السلوك .

– من حيث الموضوعية: في مجال العلوم الاجتماعية والإنسانية يجد الباحث نفسه جزء من موضوع بحثه كونه إنسانا وبما أن هدف أي علم الوصول إلى قوانين فالباحث في هاته العلوم أيضا هدفه الوصول إلى قوانين عامة تفسر السلوك الإنساني الذي هو كذلك جزء منه وهنا يمكن أن تتدخل تحيزا ته الذاتية وخبراته المعاشة ورغباته وأرائه الشخصية وقد تتدخل جميعا في تفسيره للنتائج التي يتوصل إليها ويمكن آن تؤثر حتى في اختياره للوقائع محل الدراسة والمنهج الذي يختاره لتناولها .

– من حيث إمكانية التجريب : الظاهرة الطبيعية تخضع إلى التجريب والاختبار بغية إعادة تكرار الظاهرة وهذا الأمر غير ممكن في العلوم الاجتماعية والإنسانية فلا يمكن مثلا أن نطلب من شخص أن يقوم بالانتحار أو نقوم بإعادة كارثة طبيعية من أجل دراسة الآثار النفسية للإفراد .

– الخضوع لمبدأ الحتمية: ونعني هنا بالحتمية وجود علاقة حتمية بين السبب والنتيجة أي بين الظاهرة والأسباب المؤدية إلى حدوثها ،فإذا قلنا مثلا: أنه كلما تنقص الجاذبية ينقص الثقل فان الحتمية هنا تكون من مبادئ علم الفيزياء لكن بالمقابل هل نستطيع أن نجد هذه الحتمية في العلوم الإنسانية أو الاجتماعية ؟فهذا غير ممكن بحكم أن الظواهر الإنسانية غير ثابتة فهي تختلف عبر الزمان والمكان كما سبق وقد اشرنا سابقا، فمثلا أسباب الانتحار في المجتمعات الغربية ليست نفسها في المجتمعات العربية ولان عنصر الذاتية والموضوعية في تطبيق المنهج العلمي في مجال العلوم الاجتماعية والإنسانية من المشكلات التي عرفت سجالا على كبيرا في هذا المجال أردنا أن نرجع إليه بنوع من التفصيل.

5. إشكالية الموضوعية والذاتية في دراسة الظواهر الاجتماعية والإنسانية :

ضـن العلمـاء في فجـر النهضـة الأوروبيـة الحديثـة أن المـنهج التجـريبي الـذي اكتشـفوه قـادر علـى دراسـة كـل الموضـوعات والوصـول إلى نتـائج حاسمـة ويقينيـة أي الوصـول إلى القـوانين الـتي تحكـم الظـواهر والسـيطرة عليهـا واسـتغلالها إلى حـد كبـير كمـا هـو الأمـر في الظـواهر الطبيعيـة . لكـن بعـد زوال الانبهـار بـالمنهج التجـريبي تـبن للبـاحثين في مجـال الظـواهر الإنسـانية أن هـذا المـنهج عـاجز عـن دراسـتها لأنـه مـنهج مـادي بحـت بينمـا الظـواهر الإنسـانية تتـداخل فيهـا المـادة والـروح وعليـه لابـد لهـا مـن مـنهج مناسـب ،وكمـا قـال احـد العلمـاء أننـا بحاجـة إلى منـاهج مناسـبة للمشـكلات الـتي نريـد دراسـتها وحلهـا ولسـنا في حاجـة إلى مشـكلات تناسـب المنـاهج الـتي لـدينا هـذا المـنهج هـو مـنهج التأويـل أو الفهـم ،مـن هنـا طرحـت إشـكالية الخيـار المنهجـي لدراسـة الظـواهر الاجتماعيـة و الإنسـانية أي هـل نسـتعمل مـنهج التفسـير (المـنهج التجـريبي)أو مـنهج التأويـل (مـنهج الفهـم) فـإذا كانـت الظـواهر الإنسـانية ليسـت ظـواهر طبيعيـة ماديـة بحتـة فانـه يسـتحيل تأسـيس علـم إنسـاني بالاعتمـاد علـى المـنهج المطبـق في علـوم المـادة أي المـنهج التجـريبي وعليـه علـى العلـوم الإنسـانية أن تراعـي خصوصـيات الـتي تدرسـها وتسـتند لتفسـير باعتبـاره يفـترض انفصـال الـذات الدارسـة عـن الموضـوع المـدروس بـالفهم والتأويـل والمقصـود بـالفهم هـو الإدراك الحسـي للدلالـة القصـدية لنشـاط إنسـاني معـين أي أن الفهـم هـو الجهـد نحـو النفـاذ إلى الـداخل ووراء الظـواهر محـل لدراسـة وصـولا إلى الـدلالات والمقاصـد الإنسـانية انطلاقـا مـن التجـارب المعاشـة ،يعـني كيفيـة فهمهـا وتأويلهـا. ويقتضـي الفهـم النظـر إلى الواقعـة الإنسـانية في كليتهـا وشموليتهـا والابتعـاد عـن التشـتت والتجزئـة أي فهـم الظـروف الاجتماعيـة والثقافيـة الاقتصـادية والسياسـية وعليـه فـان الظـواهر الإنسـانية لا تـدرك مـن الخـارج كـالظواهر الطبيعيـة بـل نعالجهـا ضـمن تجربتهـا الذاتيـة وهـو مـا جعـل بعـض البـاحثين يطلـق عليهـا اسـم العلـوم الذاتيـة مقابـل العلـوم الموضـوعية وهـي علـوم المـادة ،ومـن هنـا نقـع في مشـكلة الذاتيـة أي اللّاعلميـة وعليـه لا يجـب إقصـاء مـنهج التفسـير نهائيـا عـن الظـواهر الإنسـانية والاعتمـاد في دراسـتها علـى الفهـم فقـط أي يجـب المـزج بـين التفسـير والفهـم لإدراك المقاصـد والغايـات وتحديـد البعـد الـدلالي لهاتـه الوقـائع، وهـو عمليـة رصـد باطنيـة وقصـديه لحصـر المعـنى وإدراكـه وهكـذا يصـبح المـنهج المتبـع لحد ألان في العلوم الاجتماعية والإنسانية نهجا مركبا يجمع بين التفسير والفهم والتأويل.

حـاول أعـلام الفكـر الإنسـاني في مختلـف العصـور التاريخيـة دراسـة كثـير مـن المسـائل الاجتماعيـة إلا أنهـم اقتصـروا علـى التفكـير الفلسـفي والقيـاس المنطقـي في الحكـم علـى الأمـور وتفسـير مـا يحـيط بهـم مـن ظـواهر الحيـاة ولم تكـن هـذه المحـاولات سـوى مراحـل في تطـور العلـوم الاجتماعيـة فـالعلم الحـديث كمـا رأينـا لا يقتنـع بتلـك الوسـائل والأسـاليب الـتي اتبعهـا المفكـرون الأقـدمون في الدراسـة والبحـث وإنمـا يعتمـد علـى

الأسلوب الاستقرائي القائم على الملاحظة والتجريب للوصول إلى وقوانين عامة تكشف عن أنواع العلاقات القائمة بين مختلف الظواهر.

ولما كانت العلوم الطبيعية هي التي بدأت باستخدام المنهج العلمي وساعدها ذلك المنهج على فهم كثير من ظواهر الطبيعة وهيأ لها سبيل السيطرة على قوى الطبيعة وتسخيرها لخدمة الإنسانية فقد نادي كثير من المفكرين الاجتماعيين بضرورة استخدام المنهج العلمي في الدراسات الاجتماعية للوصول إلى نتائج مماثلة تساعد على فهم ظواهر الاجتماع.

وكان من نتيجة هذه الدعوة أن اتجه عدد من الباحثين والعاملين في الميدان الاجتماعي إلى استخدام الأسلوب العلمي في دراسة المجتمع وما ينبعث عنه من ظواهر وما يحدث فيه من مشكلات وقد ترتب على هذه الدراسات تقدم الأساليب العلمية المستخدمة في البحوث الاجتماعية والوصول إلى مجموعه كبيرة من القوانين والنظريات في ميدان الدراسات الاجتماعية.

وقد ساهم عدد كبير من المفكرين الاجتماعيين في الشرق والغرب في الدعوة إلى استخدام المنهج العلمي في الدراسات الاجتماعية، نذكر من بين هؤلاء العالم العربي (ابن خلدون) و(فيكو) الايطالي : و(أوجست كونت) ، وإميل دور كايم) الفرنسيين إلى جانب عدد كبير من علماء الاجتماع في الولايات المتحدة الأمريكية وفيما يلي عرض لطرق البحث وقواعد المنهج التي طالب هؤلاء باستخدامها في الدراسات الاجتماعية. من خلال الدراسات والنظريات التي قدموها في مجال دراسة الظاهرة الاجتماعية

6. أهم المدارس المنهجية في دراسة الظاهرة الاجتماعية

إن المتتبع لتاريخ علم الاجتماع يجد أن هناك عدة اتجاهات نظرية دعت إلى دراسة الظاهرة الاجتماعية وفق منهج علمي كما تصوره المفكرون في فترات زمنية ويمكن تصنيف هذه

الاتجاهات الفكرية ضمن مدارس استطاعت أن تثري طرق مناهج البحث في الظاهرة الاجتماعية ويمكن تلخيص هاته الاتجاهات في المدارس الاجتماعية التالية :

1.5.المدرسة الإسلامية (المدرسة الخلدونية)

يشهد استقراء تاريخ الفكر البشري بأن علماء الحضارة الإسلامية كانوا أسبق من الغربيين إلى نقض منطق أرسطو النظري و إتباع المنهج التجريبي قبل بيكون بعدة قرون ، فقد استطاعوا أن يميزوا بين طبيعة الظواهر العقلية الخالصة من جهة، والظواهر المادية الحسية من جهة أخرى، وفطنوا إلى أن الوسيلة أو الأداة التي تستخدم في هذه الظواهر يجب أن تناسب طبيعة كل منها، ويعتبر شيخ الإسلام (ابن تيمية) من أوائل العلماء المسلمين الذين نقدوا منطق أرسطو الصوري ، حيث هاجمه بعنف في كتابه (نقد المنطق) ودعا إلى الاستقراء الحسي الذي يصلح للبحث في الظواهر الكونية ويوصل إلى معارف جديدة.وفي المجال الاجتماعي كانوا السباقين إلى اكتشاف علم جديد لم يكن معروف من قبل بني على قواعد وأسس النهج العلمي ألا وهو علم الاجتماع الذي يرجع الفضل إلى العلامة عبد الرحمان ابن خلدون .

لم يكن عبد الرحمان ابن خلدون فليسوف أو مؤرخا فحسب بل كان رائد وعالم اجتماع وهو من وضع أسس وقواعد هذا العلم متقدما بذلك على المفكرين الغربيين بأربعة قرون، واليه يرجع الفضل في الكشف عن حقائق العمران البشري ونجد أفكار ابن خلدون في مقدمة كتابه العبر في ديوان المبتدأ والخبر أين يشير فيه إلى قواعد العمران البشري من خلال دراسته لموضوع العصبية والدولة ،من خلال محاولته في إيجاد تفسيرا للظواهر التي لاحظها في ميادين السياسة والفكر والاجتماع .

ويرى ابن خلدون "أن الحوادث لا تتعاقب على مجتمع دون انتظام أو مصادفة أو منفصلة عن بعضها بل إنها تتعاقب وفق قوانين تسير الحركة الاجتماعية وتؤثر في حالة المجتمع، لهذا يجب البحث عن تلك القوانين ودراستها في موضوع مستقل سماه علم العمران البشري ،حيث تدرس الظواهر التي يترتب وجودها إلى وجود المجتمع ولا توجد مستقلة عنه "(الجوهري ويوسف ،2008،ص74).

وقد فسر ابن خلدون عوامل تجمع البشر والعيش ضمن جماعات اجتماعية بالحاجات الإنسانية حيث "يرى ابن خلدون أن الحاجات البشرية تلعب دورا بارزا في نشأة العمران وتطوره وبقاء الإنسان

والجماعات البشرية ويرى أن ذلك مرهون بأمرين أساسين هما: القوت أو الغذاء الذي يضمن الحياة والدفاع الذي يقي الإنسان من الأخطار الطبيعية وتحدياتها وأن كلا الآمرين يقتضي الاجتماع البشري بين المرء وبني جنسه والتعاون من أجل الحفاظ على بقاء واستمرار هذا التجمع الإنساني ."(الجوهري ويوسف ،2008،ص74)

و من خلال العمل الذي قدمه ابن خلدون لم يقتصر على تحديد العلم الجديد الذي اكتشفه والذي أطلق عليه اسم علم العمران البشري بل قام بتحديد القواعد المنهجية التي يعتمد عليها هذا العلم ، "إن النظرة الكلية إلى العمران البشري قد مكنت ابن خلدون من أن يلم في دراسته العمرانية بكثير من الظواهر الاجتماعية، فقد حاول استقصائها ابتداء من خشونة البداوة إلى رقة الحضارة وهو في كل ذلك يحاول أن يبحث لكل ظاهرة من الظواهر عن طبعها أو طبيعتها الخاصة في نفس الوقت الذي يجتهد فيه بربط الأجزاء بالكل "(عابد الجابري ،1994،ص111) وهنا يظهر المنهج العلمي المتكامل في النظرية الخلدونية والذي يقوم على :

-عدم قبول أي فكرة أو معلومة على أنها صحيحة إلا بعد التأكد من صحتها، لذا يجب أن الاعتماد في البحث عن الحقيقة، على الملاحظة المباشرة والتي يجب أن تكون بطريقة علمية ونقدية انطلاقا من التجربة الشخصية والتجربة الإنسانية للظاهرة المدروسة.

-يرى أن الظواهر الاجتماعية مرتبطة يبعضها البعض ارتباط العلة بالمعلول وعلى الباحث أن يبحث عن العلاقات التي تربطها يبعضها البعض.

-"لابد أن يستخدم الباحث منهج المقارنة بين ماضي الظاهرة وحاضرها أي ضرورة دراسة تطور الظاهرة الاجتماعية دراسة دينامية تاريخية وذلك لأن الظاهرة التاريخية متطورة متبدلة أي انه يجب على الباحث أن يحرص على تفسير وتعليل الظاهرة العمرانية في حالتي استقرارها وتطورها ونموها وفقا للأساس الذي ينادي به أصحاب المدرسة الاجتماعية الحديثة "(الجوهري ويوسف ،2008،ص80).

وعليه و كنتيجة لما سبق يمكن القول أن منهج ابن خلدون منهج وضعي قوامه الاستقراء والموضوعية، منهج تكاملي يقوم على قاعدة ترابط الظواهر وتشابكها. ومنهج شامل يجمع الحقائق الاجتماعية على المستويين الإستاتيكي والديناميكي. كما قام ابن خلدون بربط ا التاريخ بعلم الاجتماع ولازالت مدرسة علم الاجتماع الفرنسي تسلك هذا المسلك.

2.5 .لمدرسة الماركسية:

ظهرت الماركسية كمذهب و تيار فكري في النصف الثاني من القرن التاسع عشر في شرق أوربا، و سميت كذلك نسبة لمؤسسها كارل ماركس، حيث استوحى نظريته من التراث الفكري آنذاك والذي عاصر فيه الفلسفة الكلاسيكية الألمانية، الاقتصاد السياسي الكلاسيكي الانجليزي و الاشتراكية الفرنسية، حيث كانت نظريته مادية بحتة بعيدة عن الميتافيزيقية و المثالية تدور حول ملكية الأفراد لوسائل الإنتاج و التي تملكها الطبقة الرأسمالية و طبقة البروليتاريا الكادحة و تطور المجتمع من طبقة إلى أخرى حيث لا يتم هذا التحول إلا بوجود الصراع بين هذه الطبقات كما وضع قوانين جدلية و تاريخية و اتخذها كمنهج لنظريته، حيث كان يطمح إلى قيام مجتمع شيوعي إلا أن هذا الطموح اصطدم بواقع الرأسمالية المتعصب و لم تضمحل الرأسمالية لتحل محلها الاشتراكية و من ثم الشيوعية، هذا ما أدى ببعض المفكرين لنقد نظريته و نعتها بالناقصة، ليأتي من بعده تلامذته و مفكرين معجبين بنظريته اتبعوا خطاه و درسوا الواقع المعاش بتطبيق النظرية الماركسية الكلاسيكية عليه فوجدوها تحوي على نقائص، مما اضطرهم إلى تحديث النظرية التقليدية و اكتشاف طبقة وسطى في المجتمع و إضافة بعض المفاهيم التي كانت غائبة عن كارل ماركس مع حفاظهم على الأساس و لب النظرية الكلاسيكية

وقد قامت النظرية الماركسية على مجموعة من المبادئ المتكاملة نذكر أهمها فيما يلي:

- أنها تعبير عن صراع طبقي وصالح مادية
- المهم ليس فهم العالم بل العمل على تغييره والقضاء على الاستغلال الفردي
- المادة توجه العالم وتفسر التاريخ والتاريخ عند ماركس عبارة عن صراع بين الطبقات
- الاقتصاد وعلاقات الإنتاج هم أساس كل ظاهرة اجتماعية

– الدعوة لتغيير العالم لصالح الكادحين (البروليتاريا)مع رفض قاطع للميتافيزيقا

– تفسير الأحداث التاريخية على أساس نظام الملكية

– محاربة الأديان واعتبارها وسيلة لتخدير لشعوب وخادما للرأسمالية والامبريالية (الدين أفيون الشعوب)

– الإيمان بأزلية المادة وأن العوامل الاقتصادية هي المحرك الأول للأفراد والجماعات

– الأخلاق نسبية وهي انعكاس لآلة الإنتاج .

–آليات التحليل الماركسي :

"يعتبر ماركس من الصر اعين الماديين بالمفهوم الاجتماعي لأنه ينظر إلى العلائق الاجتماعية بين أعضاء المجتمع على أنها قائمة على معطيات وإفرازات العامل المادي الذي يولد شعورا إنسانيا للفرد وتركيبا حضاريا للمجتمع "(خليل عمر ،1991،صص12)

خلاصة ما نود أن نقوله أن المنهج الماركسي أو منهج الديالكتيك المادي، يدرس الواقع من اجل فهمه واستيعابه وتغييره، وأنه يعتمد علي الدراسة الباطنية الملموسة، على ارض الواقع، واستخلاص نتائج من الواقع لا من تصورات ذهنية مسبقة، ويتعامل مع الظواهر والمستجدات في الطبيعة والمجتمع بذهن مفتوح، وأنه في جوهره نقدي وثوري، كما أنه لا يدعى الحقيقة المطلقة والنهائية، وهو ينظر للظواهر في شمولها وحركتها وتغيرها الدائم، وهو طريقة في البحث ، ويصل للحقائق من الواقع وبذهن مفتوح ، ولا يخضع الواقع للنظرية، بل تخضع النظرية للواقع، النظرية ترشد الممارسة والممارسة تغنى وتخصب النظرية، كما يأخذ في الاعتبار الخصائص والظروف التاريخية لتطور الظواهر كما يعتمد على المقارنة بين الظواهر المختلفة ، وبالتالي هو في جوهره المنهج العلمي في أوسع معانيه

.المدرسة الوضعية

"تدعي المدرسة الوضعية بان العقل يحكم العالم واكتفت بالبحث عن التطور العقلي وحاولت التوصل إلى وحدة الفكر والى ثبوت صحة المثل العليا ،وفي الواقع أرادت النزعة الوضعية الانطلاق من الواقع المليء بالتناقضات من اجل الوصول إلى صياغة قوانين تسير بموجبها الظواهر الاجتماعية "(خليل عمر ،1991،ص95) ،أي إنها ذهبت لتبحث عن الواقع الاجتماعي الذي يفيد الإنسان كي يعمل على تحسين أوضاعه الاجتماعية مستهدفة الوصول إلى قوانين ثابتة .فهي إذن نزعة معارضة للحقائق النسبية والأحكام القيمية التي تقوم على الالتزامات الفردية والنظرة المحددة فهي تريد أن تقنن حياة الأفراد وتسير المجتمع حسب قوانين تصوغها كما تشاء ، وظهرت الوضعية في فرنسا بعدة الثورة الفرنسية 1789 بسبب الظروف التالية :

-الصراع الكبير الذي ظهر بين طبقة النبلاء الجديدة والطبقة الوسطى

-عدم توصل هاتين الطبقتين الى بلورة رؤية توضح كيف يتم ثبات واستقرار المجتمع

-استخدام التاج الفرنسي وطبقة النبلاء التقاليد الدينية كمصدر لدعم شرعية حكمهم

-ظهور التيار العلمي وكفاحه ليأخذ مكانة الصدارة في المجتمع الفرنسي

-ظهور نظرية المنفعة في الاقتصاد والسياسة في بريطانيا تدعو إلى إشباع الحاجات الفردية وتشجيع المنافسة الحرة بين الأفراد .

بالنسبة للمنهج الذي اعتمدته هذه المدرسة يمكن استنتاجه من خلال الأفكار السابقة وهو المنهج الوضعي الذي يقوم على الملاحظة وتقرير طبائع الأشياء كما هي في الواقع ،كما يدرس الحقائق الجزئية وعناصر الظواهر الاجتماعية والإنسانية بحثا عن أسبابها، كونه يؤمن بخضوع الظواهر لقوانين يمكن الكشف عنها .معتمدا على التاريخ والمقارنة بين الظواهر.

4.5 .المدرسة الوظيفية :

ترى الوظيفية أن لكل جزء من أجزاء البناء الاجتماعي وظيفة هامة يؤديها والتي يسعى من خلالها إلى إشباع احتياجات الكائن الإنساني في المجتمع ،فهي تنظر للمجتمع على انه نسق ذو أجزاء مترابطة

وظيفيا والوظيفة هي القيام بإشباع الحاجة ،والمشكلات تحدث بسبب عدم إشباع الحاجات، وعليه يمكن تعريفها بأنها رؤية سوسيولوجية تهدف إلى تحليل ودراسة بنى اجتماعية من ناحية الوظائف التي تقوم بها هذه البنى.وأهم المبادئ التي ترتكز عليها هاته النظرية نجد:

-أنه يمكن النظر إلى أي شيء سواء كان كائنا حيا أو اجتماعيا فرد أو جماعة صغيرة أو تنظيما رسميا أو حتى العالم بأسره على انه نسق أو نظام وهذا النسق يتألف من عدد من الأجزاء المترابطة فجسم الإنسان يتكون من مختلف الأعضاء والأجهزة وكذلك الفرد والمجتمع والعالم.

-لكل نسق احتياجات أساسية لابد من الوفاء بها و إلّا فان النسق سوف يفنى أو يتغير تغيرا جوهريا فكل مجتمع مثلا يحتاج أساليب لتنظيم السلوك القانوني ومجموعة لرعاية الأطفال في الأسرة و هكذا...الخ

-لابد أن يكون النسق دائما في حالة توازن ولكي يبقى كذلك لابد أن تلبي أجزاؤه المختلفة احتياجاته فإذا اختلت وظيفة أحد الأجزاء فان الكل يصبح في حالة عدم اتزان.

-كل جزء من أجزاء النسق قد يكون وظيفيا أي يسهم في توازن النسق وقد يكون ضارا وظيفيا أي يقلل من توازن النسق وقد يكون غير وظيفي أي عديم القيمة بالنسبة للنسق.

يمكن تحقيق كل حاجة من حاجات النسق بواسطة عدة متغيرات أو بدائل فحاجة المجتمع لرعاية الأطفال: مثلا يمكن أن تقوم بها الأسرة أو دار الحضانة وحاجة المجتمع إلى التماسك قد تكون عن طريق التمسك بالتقاليد أو عن طريق الشعور بالتهديد الخارجي

-وحدة التحليل يجب أن تكون الأنشطة أو النماذج المتكررة ف التحليل الاجتماعي الوظيفي لا يحاول أن يشرح كيف ترعى الأسرة أطفالها ولكنه يهتم بكيفية تحقيق الأسرة كنظام لهذا الهدف وهدف التفسير الوظيفي هو الكشف عن كيفية إسهام أجزاء النسق في تحقيق النسق ككل لاستمرار يته أو في

الإضرار بهذه الاستمرارية وعليه فهي تحاول فهم المجتمع في ضوء البنيات التي يتكون منها والوظائف التي تؤديها هذه البنيات .وعليه فان

هذه المدرسة اتبعت المنهج الوظيفي و هو الطريقة العلمية التي تعتمد بالأساس على الوظيفة كآلية لتفسير الظواهر ، و تحيل الوظيفة على الفعل أو العمل الذي يقوم به كائن ما، فمن الناحية البيولوجية تحيل الوظيفة على الجهاز العضوي فالعين وظيفتها البصر اليد وظيفتها اللمس .... و قانونيا تحيل على الدور المؤسساتي ، فالبرلمان وظيفته التشريع و الحكومة وظيفتها التنفيذ و يعني هذا أن الوظيفة هي أداة التحليل في المنهج المذكور.ويقوم هذا المنهج على مجوعة من الإجراءات نذكرها فيم يلي :

-التجربة العقلية :ذلك أن المنهج الوظيفي يعتمد على ملكة التفكير والتخيل العلمي عند البحث الذي عليه أن يقدر عقليا ماذا سيحدث في المجتمع إذا ما تخلت أجزاء البناء عن أداء وظائفها أو قامت بها على أكمل وجه.

-"يعتمد المنهج الوظيفي على المنهج المقارن: والمقارنة تكون إما على المستوى الكي في ...أو المقارنة على المستوى الكمي ..."(أبراش ،2009،ص122)

-"ملاحظة وتحليل النتائج المترتبة عن حدوث الاضطرابات المختلفة في المجتمع و هاته الاضطرابات قد يكون منشأها أسباب داخلية أو أسباب خارجية أو كليها معا مثلا النتائج المترتبة عن حدوث اضطرابات أو حدوث حروب " (أبراش ،2009،ص122)

5.5 .المدرسة البنيوية

ظهرت البنيوية كتيار فكري في الخمسينات من القرن الماضي كرد فعل أو كتيار معارض للماركسية ،ويرجع الفضل إلى علماء اللغة في اكتشاف أهمية التحليل البنيوي في دراسة الظواهر ،وفي تعريف البنية ،والأصل الاشتقاقي للكلمة يعود إلى كلمة structureبمعنى ركب انشأ وشيد أما المعنى الاصطلاحي الذي أتي به الفلاسفة والمفكرين فيعني "أن البنيوية تتعامل مع الشيء باعتباره أن له بنية أي ليس عديم الشكل ويشكل منظومة أو نسقا له نظامه الخاص من حيث تركبه ووحدة انسجامه الداخلي والقوانين التي تضبطه وتسمح باستمرار يته وهم يسعون من خلال منهجهم في التعامل مع

الأشياء إلى التحرر من الايدولوجيا وكل المؤثرات الخارجية بما فيها التاريخ التي تعطي البنية ليس مضمون متميز أنها المضمون نفسه مفهوما داخل تنظيم منطقي معتبر كخاصية للواقع"(أبراش ،2009،ص122) وعليه فهم يضفون عليها الطابع علمي منهجي للتحليل الاجتماعي ،"لقد قدمت البنيوية تفسيرا للإنسان والثقافة بلغة سماها تشومسكي بنى عميقة وهذه البنى العميقة هي مبادئ غير واعية للعمل الوظيفي للعقل تحاول البنيوية اكتشافها في الانثروبولوجيا وعلم الاجتماع على الأقل لتكشف عنها كأساس حقيقي لظاهرة الثقافة ...تلعب البنيوية في العلوم الاجتماعية دورا مشابها لدور التحليل النفسي في علم النفس الفردي وكلاهما يدعي إعطاء وعي جديد و بصيرة أعمق بالعمليات التي تؤثر علينا ولكن لم نكن ندركها إدراكا واضحا "

ولم تقتصر البنيوية على مجال معرفي معين بل إستهوت مفكرين من مجالات علمية مختلفة من أنثروبولوجيا علم الاجتماع، اللغة والسياسة .

أبرزهم كلود ليفي ستروس الذي يصف المنهج البنيوي من خلال المراحل والعمليات التي يقوم بها الباحث في تحليلي الظاهرة بنيويا بحيث يرى انه يجب على الباحث يقوم بما يلي :

-جمع الحقائق المتفرقة ويحللها في قائمة شاملة

-تعيين الروابط المتقابلة بين الحقائق وتصنيفها في مجموعة ثم تحديد ارتباطاتها الداخلية

تركيب الأجزاء في كيان واحد أو في نفس البنية أي العناصر المعينة في نفس النسق

وهكذا يمكن إنتاج موضوع كامل ومتفرد للبحث

"لقد قدمت البنيوية تفسيرا للإنسان والثقافة بلغة سماها تشومسكي بنى عميقة وهذه البنى العميقة هي مبادئ غير واعية للعمل الوظيفي للعقل تحاول البنيوية اكتشافها في الانثروبولوجيا وعلم الاجتماع على الأقل لتكشف عنها كأساس حقيقي لظاهرة الثقافة ...تلعب البنيوية في العلوم

الاجتماعية دورا مشابها لدور التحليل النفسي في علم النفس الفردي وكلاهما يدعي إعطاء وعي جديد و بصيرة أعمق بالعمليات التي تؤثر علينا ولكن لم نكن ندركها إدراكا واضحا حتى نشأت تلك الفروع من المعرفة "(قيصر ،2012،ص127)

إن الطرح البنيوي في دراسة الظاهرة الاجتماعية يختلف تماما عن المناهج التقليدية التي قدمتها المداس السابق والتي اثبت بان الظاهرة الاجتماعية لها خصائص نفسية وثقافية ،وهذا يحتاج الى منهج خاص يتماشى وطبيعة هاته الظاهرة .

6 .نتائج الدراسة والتوصيات :

على الرغم من أن مبادئ وأهداف المنهج العلمي واحد في كل ميادين البحث الا ان طريقة تطبيقه تختلف من مجال علمي إلى أخر خاصة ما تعلق بالعلوم المرتبطة ارتباط مباشر بالإنسان ،هذه الخصوصية التي تميز الظواهر الاجتماعية ،جعلت المناهج وطرق البحث عن الحقيقة في هذا متنوعة وثرية ،مما كان سببا في ظهور عدة مدارس فكرية ومنهجية ،كانت سببا في ثراء مجال علم الاجتماع بطرق ومناهج بحثية مختلف ،ولا يزال البحث إن طرق الوصول إلى الحقيقة في دراسة الظاهرة الاجتماعية مستمر بسب التغير الكبير في البيئة الاجتماعية ومكوناتها خاصة الجانب التكنولوجي وهذا يطلب طرق بحث غير تقليدية لتفسير الواقع المتغير.

خاتمة :

إن لمتتبع لعلم المناهج في مجال الدراسات الاجتماعية يدرك بوضوح كيف ان تطبيق المنهج العلمي في الدراسات الاجتماعية قد قطع أشواطا لا باس بها من حيث البحث عن طبيعة المنهج الذي يلائم طبيعة الظاهرة الإنسانية التي تختلف في جوهرها عن الظواهر الطبيعية أو الظواهر المادية وهذه الاختلافات جعلت مفكرو هذا المجال الفكري يطورون عبر الزمن طرق ومناهج جديدة تحاول ان تقترب في تفسيرها للظواهر من طبيعة الظاهرة الاجتماعية ذات البعد الإنساني والثقافي ،هذا الأمر نتج عنه تطور في علم المناهج وطرق دراسة الظواهر الاجتماعية ويظهر ذلك جليا من خلال المدارس الفكرية وأساليب دراسته للظواهر ،وهذا الأمر نتج عنه ثراء في المناهج القابلة للتطبيق على الظاهرة الاجتماعية والإنسانية بصفة عامة.

7. قائمة المراجع :

1.أبـــراش إبـــراهيم ،2009، المـــنهج العلمـــي وتطبيقاتـــه في العلـــوم الاجتماعيـــة،دار الشـــروق للنشـــر والتوزيع،القاهرة

2.الجـوهري محمـد و يوسـف محسـن ،2008،ابـن خلـدون انجـاز فكـري متجـدد ،تقـديم محسـن سـراج ،مكتبة الإسكندرية ،الإسكندرية

3.بدوي عبد الرحمان ،1973، مناهج البحث العلمي، وكالة المطبوعات، الكويت،

4.بـوليتزر جـورج ،بـدون سـنة ، الفلسـفة الماركسـية ،ترجمـة شـعبان بركـات ،منشـورات المكتبـة العصـرية، بيروت

5.جـواد الطـاهر علـي ، 1979،مـنهج لبحـث الأدبي المؤسسـة العربيـة للدراسـات والنشـر ط3بـيروت -19798

6.خليل عمر معن ،1991،نقد الفكر الاجتماعي المعاصر ،منشورات دار الأفاق الجديدة بيروت.

7.عابـد الجـابري محمـد ،1994،العصـبية والدولـة :معـالم نظريـة خلدونيـة ي التـاريخ الإسـلامي،ط6 ،مركز دراسات الوحدة العربية ،بيروت .

8.عابـد الجـابري محمـد 2002،،مـدخل إلى فلسـفة العلـوم :العقلانيـة المعاصـرة وتطـور الفكـر العلمـي ،مركز دراسات الوحدة العربية ،بيروت ،.

9.غراوتـز مـادلين ،1993،منطـق البحـث في العلـوم الاجتماعيـة،ط1 ،ترجمـة سـام عمـار ،المركـز العـربي للتعريب والترجمة ،بيروت .

10.قاسم محمد ،1999،المدخل إلى مناهج البحث العلمي ،ط1،دار النهضة العربية للطباعة والنشر ،مصر

11.قيصر احمد ،2012، منهجية علم الاجتماع بين الماركسية والوظيفية والبنيوية ط3،الهيئة المصدرية العامة للكتاب مصر .

12.كيفان جيروم ،2013 الثقافات الثلاث: العلوم الطبيعية والاجتماعية والإنسانية في القرن الحادي والعشرين ،ترجمة صديق محمد جوهر،عالم المعرفة الكويت

13.محمد حسن عبد الباسط ،1990،أصول البحث الاجتماعي ،ط11مكتبة وهبة، القاهرة ،